الاصدار (١٥), العدد (٢/٦٢) , الصفحة(٣٤٣-٣٥٧) .April Vol.(١٥), No. (٦٢/٢),P ٢٠٢٤

IRAQI Academic Scientific Journals

العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

مجلة الدراسات التاريخية والحضارية

Journal of historical & cultural studies

ISSN: ٣-١١١٦٢٢ (Print)-E- ISSN:-٢٦٦٣-٨٨١٩ (Online)

Journal Homepage: http://jhcs.tu.edu.iq

مصطلح الحروب الصليبية ظهوره وتطور اسبابه

اسم الباحث/ ة (١): م.م. عبدالمناف محمد جاسم

الدرجة العلمية: ماجستير

التخصص العلمي: تاريخ

مكان العمل: جامعة تكريت– كلية التربية للبنات

ملخص البحث عربي:

ساهمت رحلات الحج المسيحي بشكل كبير في صياغة عقيدة الحروب الصليبية حيث كانت هذه الرحلات في بداياتها على شكل افراد وجماعات قليلة غير منظمة رغبة في التعرف على الأماكن المقدسة في الشرق، والتي شهد تجسد السيد المسيح عليه السلام وخاصة مدينة القدس التي تحظى باحترام كبير لدى الديانات السماوية الثلاثة ثم تطور الحج الى جماعات كبيرة مسلحة منظمة وغير منظمة استجابة لدعوة البابا اوربان الثاني الذي اضفى صفة الحرب المقدسة على هذه الرحلات بحجة الدفاع عن مسيحيي الشرق وتخليص الاماكن المقدسة من أيدي المسلمين بعد ظهور دولة السلاجقة في منتصف القرن الخامس الهجري وتهديدها لحدود دولة الروم في بلاد الاناضول وانتصارها عليهم في معركة ملاذ كرد التاريخية وبذلك تطور مفهوم الحروب الصليبية الأمر الذي أدى في النهاية إلى السيطرة على بلدان الشرق الاسلامي.

الكلمات المفتاحية: حروب، الصليبيون، العصور المسيحية، الهوية الإسلامية

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

The Crusades develop the term and concept

Name of The Researcher(١): Abdul Manaf Muhammad Jassim

Degree:

Scientific specialization: history

Place of work: Tikrit University–Faculty of education for girls

Abstract

Christian pilgrimage trips contributed greatly to the formulation of the doctrine of the Crusades, as these trips were in the beginning in the form of individuals and a few unorganized groups out of a desire to get to know the holy places in the East, which witnessed the incarnation of Jesus Christ, peace be upon him, especially the city of Jerusalem, which is highly respected by the heavenly religions. Then the Hajj developed into large organized and unorganized armed groups in response to the call of Pope Urban II, who gave the character of a holy war to these journeys under the pretext of defending the Christians of the East and ridding the holy places from the hands of Muslims after the emergence of the Seljuk state in the middle of the fifth century AH and its threat to the borders of the Roman state in the country. Anatolia and its victory over them in the historical battle of Manzikert, thus developing the concept of the Crusades, which ultimately led to control over the countries of the Islamic East.

Keywords: wars, crusaders, Christian eras, Islamic identity

Received: الاستلام

Accepted: القبول

Available Online: April / ٢٠٢٤ النشر المباشر

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

المقدمة:

منذ عصور موغلة في القدم والحكام يستغلون الدين في توجيه المحكومين لخدمة اغراضهم ولتدعيم سلطانهم وهي ظاهرة متكررة في التاريخ الإنساني في كل زمان ومكان وفي العصور المختلفة استخدم الدين أيضا لتبرير العدوان على الشعوب واغتصاب اوطانها وقد فعلها الصليبيون على ارض فلسطين في العصور الوسطى وهاهم الصهاينة اليوم يفعلونها على الأرض ذاتها بيد ان استخدام الدين في العصور الوسطى لخدمة الأغراض السياسية يتجسد في أوضح صورة في الحروب الصليبية ففي خضم تاريخ هذه الحروب يكتشف المرء كيف يصل الحكام في استغلالهم للدين الى حد نسج ايدلوجية تدعي الانتساب الى الدين في حين ان هذه الايدلوجية في حقيقة امرها تناقض الاتجاهات الاصلية والاساسية في هذا الدين وقد تقبل المجتمع الغربي هذه الايدلوجية التي طرحتها الكنيسة بعد ان تسلطوا على اقدار المجتمع وهيمنوا على مصائر الناس والحياة في غرب أوربا الا ان ذلك لا يكفي ليكون دافعا للحروب الصليبية وسببا لها اذ ان يكون المحرك الرئيسي لها والحقيقة ان رجال الكنيسة استغلوا هذا العامل بهدف اثارة الحماسة الدينية لدى الغرب تحقيقا لأغراض عديدة منها تطلع الكنيسة الى مد سلطانها الى كافة الانحاء ليصبح البابا الزعيم الروحي الكبير لجميع المسيحيين في الغرب والشرق بل تطلعت الكنيسة الى اخضاع الكنيسة الشرقية الى سلطانها بعد ان تسببت القطيعة الدينية بين الكنيستين الغربية والشرقية سنة ١٠٥٤م في حرمان البابوية من الهيمنة على الشؤون الدينية للشرق وتوحيد الكنيستين تحت زعامتها ومنها أيضا القضاء على النفوذ الإسلامي في الأراضي المقدسة وكذلك التخلص من كبار رجال الاقطاع في الغرب اللذين ضايقوا البابوية وزاحموها في فرض سلطانها على الغرب الأوربي كله فلما جاء استنجاد بيزنطة بالغرب الأوربي والبابوية ضد السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي اعتبرته البابوية فرصتها لتحقيق زعامتها على العالم المسيحي وادماج الكنيستين في كنيسة واحدة يراسها بابا روما من ناحية وكذلك تحقيق أهدافها الأخرى في التخلص من كبار رجال الاقطاع واسترداد الأراضي المقدسة من المسلمين من ناحية أخرى فتذرعت بالرغبة في حماية البيزنطيين والمسيحيين الشرقيين وتحرير قبر المسيح واسترداد الأراضي المقدسة لتحقيق أهدافها تحت ستار محاربة المسلمين في الشرق ولم يعد يخفى على دارس الحروب الصليبية ان السبب الديني لم يكن الا ستارا اختفت وراءه أطماع الصليبيين فقد ارتكبوا كثيرا من الجرائم ضد إخوانهم المسيحيين أيضا سواء في طريقهم الى القسطنطينية او في القسطنطينية ذاتها فأذاقت أهلها المسيحيين الوان العذاب ونهبت كنائسها واديرتها واحرقت كثيرا من معالمها .

المبحث الأول : نشوء ظاهرة الحج المسيحي

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

كان تيار الحج المسيحي هو التيار الاقدم في الرافد المسيحي الذي ساهم في صياغة الايدلوجية للحروب الصليبية فمنذ العصور المسيحية الباكرة كان المسيحيون يشعرون بالرغبة في التعرف على الأماكن التي شهدت تجسد المسيح عليه السلام وعذاباته وقد ورثت المسيحية عن اليهودية احتراما خاصا لمدينة القدس وحظيت هذه المدينة باحترام جليل القدر لدى المسيحيين ثم شاءت التطورات التاريخية ان تظهر فيما بعد فكرة مؤداها ان المكان الذي شهد حياة المسيح واستشهاده او استشهاد احد القديسين توجد به قوة روحية تساعد على محو الذنوب والخطايا وفي الوقت نفسه شاع الاعتقاد بين مسيحيي الغرب بان الذخائر المقدسة (سواء كانت من رفات القديسيين او من الأشياء والملابس التي يستخدمونها) لها نفس القدرة على محو الذنوب وبمرور الزمن تعين على الكنيسة الغربية ان تعترف بقيمة الحج الى المزارات المقدسة كاعتقاد شاع في العالم المسيحي الغربي آنذاك[١] ولنبدأ باستعراض تاريخي للحج المسيحي الى الأماكن المقدسة حتى نرصد التطور الذي ربط الحج بمفهوم الخلاص من ناحية ثم أدى الى المزج بين الحرب المقدسة والحج في فكرة واحدة خرجت منها الحروب الصليبية من ناحية أخرى ففي القرنين الأوليين بعد المسيح لم يكن الحج سهلا ذلك ان المدينة نفسها قد دمرت سنة ٧٠ م على يد القائد الروماني تيتيوس (وهو الذي تولى عرش الإمبراطورية الرومانية بعد ذلك) اثناء ثورة اليهود ومن ناحية أخرى فان السلطات الرومانية لم تكن تسمح بأية رحلات من الخارج الى هذه الأماكن وبعد انتصار المسيحية في القرن الرابع الميلادي اختفى الاسم الوثني لمستعمرة القدس وهو إيليا كابيتاليا وبرز اسم اورشليم القدس التي لم تعد مدينة اليهود منذ ذلك الحين ولكنها صارت مدينة المسيح والمسيحيين فقد زارتها القديسة هيلانة ام الامبراطور قسطنطين سنة ٣٢٦ م التي ترتبط بها قصة اكتشاف الصليب الأعظم وبفضل هيلانة وابنها الامبراطور قسطنطين الذي اعتنق الديانة المسيحية بنيت كنيسة الضريح المقدس المعروفة بكنيسة القيامة في اورشليم كما بنيت كنيسة المهد في بيت لحم وهكذا اصبح الحج الى الأماكن المقدسة في فلسطين تقليدا قائما لدى المسيحيين حرصوا خلاله على اقتفاء اثر القديسة هيلانة وامتداد خيط الحج الى فلسطين[٢] ومع ذلك فان آباء الكنيسة الأوائل أمثال جيروم واغسطين المعلم الأول للكنيسة الكاثوليكية لم يكونوا سعداء بهذه الظاهرة في اول الامر واعتبروه مضيعة للوقت وخطرا يجب تحاشيه وعلى الرغم من ذلك لم تتوقف رحلة الحج الى فلسطين ولم تستطيع المنازعات المذهبية بين كنيستي الشرق والغرب ان توقف حركة الحج وعلى الرغم من الكوارث التي حلت باوربا الغربية من جراء الغزوات الجرمانية ظل الشرق المقدس قابعا في وجدان المسيحيين الغربيين اذ كانت الرحلة الى القدس قد صارت ممارسة دينية مسيحية يؤمن بها اهل الغرب ويقال انه في مطلع القرن الخامس الميلادي بلغ عدد الاديرة التي شيدت

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

في القدس او حولها لاستقبال الحجاج مائتين دير تخضع كلها لرعاية الامبراطور الروماني وشهد منتصف هذا القرن ذروة الاقبال الى القدس وبدء الرجال والنساء في قطع مسافات طويلة ليروا اثرا مقدسا وجاوزوا ذلك الى محاولة الحصول على واحد من هذه الاثار وينقلوه الى موطنهم ويضعوه في كنيستهم على ان الاثار الرئيسية بقيت في الشرق على الرغم من نقل قسم منها الى القسطنطينية وساعد كل ذلك في جلب انتباه الغرب الى الشرق وكذلك ساعدت التجارة التي كانت قائمة آنذاك على شواطئ البحر المتوسط على الترابط بين الشرق والغرب أيضا الا انها اخذت بالاضمحلال نتيجة الفقر الذي بدا يتزايد في الغرب وكذلك اعمال القرصنة التي كانت تقوم بها قبائل الوندال في منتصف هذا القرن حيث احالوا البحار الى مناطق غير آمنة اثرت بشكل كبير على رحلات الحج والتجارة وظل المسيحيون الغربيون يفكرون في الحج الى الأماكن المقدسة في الشرق بتعاطف وحنين[٣] ثم حدث الغزو الفارسي لبلاد الشام واعقبه الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي ومن المعلوم ان المسلمين يقدسون الحج اكثر من المسيحيين ولهذا السبب تعاطف المسلمين مع الحجاج المسيحيين وتسامحوا تجاه الرحلات الدينية التي قام بها مسيحيو الغرب الى القدس ولكن طبيعة حركة الحج المسيحي تغيرت منذ بداية هذا القرن فصاعدا وكان هذا التغيير هو الذي سار بالحج صوب الحروب الصليبية فبينما اتخذت رحلات الحج في القرون المسيحية الأولى طابعا عاطفيا خالصا اتخذت رحلات الحج منذ القرن السابع شكل العمل التكفيري الذي يجب على المخطئين ان يقوموا به ولم يلبث ان تحول الى طقس من طقوس التوبة وبحلول القرن الثامن الميلادي كان القيام بالحج كإجراء تكفيري قد صار ممارسة دينية شائعة في القارة الاوربية ولان الحج كان رحلة حافلة بالأخطار والمصاعب فان ذلك يجعلها ممارسة دينية تناسب التوبة وفي القرن العاشر الميلادي الذي يعتبر العصر العظيم للحج المسيحي تغيرت الأمور اذ يشير المؤرخون الى انه القرن الذي اشتد فيه الاقبال على الحج لأسباب كثيرة منها تقلص النفوذ الإسلامي الى حد ما في كثير من نواحي البحر المتوسط وفقدان المسلمين السيطرة على بعض موانئ جنوب إيطاليا وفرنسا وخرجت جزيرة كريت من أيديهم فضلا عن ازدهار الحركة التجارية بين إيطاليا وبيزنطة بالإضافة الى ظهور الحركة الكلونية في أوربا وتأسيس دير كلوني[٤] والتي اعتبر اتباعها الحج الى الأماكن المقدسة في الشرق من الفرائض التي ينبغي أدائها وخلال القرن الحادي عشر الميلادي تزايدت رحلات الحج واتخذت الصفة الجماعية وكان للظروف السياسية العالمية آنذاك اثرها في تزايد هذه الرحلات اذ كان الفاطميون هم المسيطرين على بيت المقدس وكانوا قد عقدوا معاهدات سلام مع البيزنطيين بعد نهاية حكم الخليفة الحاكم بأمر الله[٥] ومن ناحية أخرى كان لاعتناق ملك المجر وشعبه للمسيحية اثره في تامين الطريق

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

البري الى الشرق وصارت رحلات الحج في هذا القرن غاية في الكثرة والتكرار ولم يقتصر خروج الحجاج على المناطق التقليدية في الغرب الأوربي ولكن تزايد عددهم في هذا القرن بالشكل الذي جعل تيار الحج عاملا من اهم عوامل صياغة الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية وبسبب طبيعة الاحداث التي واكبت الحج الجماعي اخذ المحور الديني لعملية الحج يتلاشى شيئا فشيئا فقد اخذ الحجاج يشكلون جماعات كبيرة تحمل السلاح وتذكر المصادر التاريخية المعاصرة بانه في سنة ١٠٦٤ م وصلت الى الأراضي المقدسة في فلسطين مجموعة قوامها سبعة الاف حاج مسلح مما أدى الى وقوع اشتباك مسلح بينهم وبين المسلمين بالقرب من الرملة وبدأت هذه الجماعات الكبيرة تتسبب في خلق المتاعب بسبب ضخامة اعدادها وما تحمله من سلاح[٦] وهنا نصل الى النقطة الحرجة التي تفصل بين الحج والحملات الصليبية فقد كانت الحملة الأولى في نظر من عاصروها حجا ولكنه حج مسلح منحته الكنيسة امتيازات خاصة ويرى بعض الباحثين ان الحملات الصليبية كانت امتدادا منطقيا للحج وانه لم يكن يخطر ببال احد ان يتوجه لغزو القدس لو لم يكن الاف الحجاج قد ساروا على درب الحج على مدى القرون السابقة اذ ان فكرة الضريح المقدس يجب ان يكون في ايدي المسيحيين قد ولدت في رحم حركة الحج وفي تصورنا ان الحملات الصليبية كانت نتاجا لكل من حركة الحج والحرب المقدسة معا فقد شاعت في الغرب الأوربي قصص كثيرة عن تعسف المسلمين للحجاج المسيحيين وعلى الرغم من رائحة المبالغة والكذب التي تفوح من هذه الروايات فان المصادر التاريخية المسيحية قد رددتها بالشكل الذي يؤكد بان رأيا عاما في الغرب يحبذ فكرة الاستيلاء على الأراضي المقدسة من المسلمين وهو اتجاه من اهم ملامح الايدلوجية الصليبية وهذه القصص كانت الذريعة التي تحتاجها الحرب المقدسة او الحرب العادلة التي كان رجال الكنيسة قد ارسوا نظريتها في الغرب الأوربي[٧] وفي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي أي في الفترة الأخيرة من العهد الصليبي وبعد ان أصبحت مدينة القدس تحت الاشراف المملوكي منذ سنة ١٢٦٠م تمكنت اعداد من حجاج الغرب الأوربي من القدوم الى الأراضي المقدسة وتواصل توفدهم بصورة منتظمة ومستمرة حتى تحرير مدينة عكا وبعض المدن التي كانت لاتزال تحت السيادة الصليبية سنة ١٢٩١م[٨].

المبحث الثاني :أماكن العالم المسيحي المقدسة

بعد تحول الامبراطور قسطنطين الى المسيحية في بداية القرن الرابع الميلادي انتهى رسميا عصر اضطهاد المسيحيين مما فسح المجال للكنيسة كي تنظم نفسها وتنتشر وتزداد نشاطا وتبشيرا فبنيت الكنائس الكبرى في الأماكن المقدسة بحسب العقيدة المسيحية وذلك على يد الامبراطورة هيلانة والدة الامبراطور قسطنطين ومنها كنيسة القيامة سنة ٣٣٥م وكنيسة المهد وغيرها مما مهد حركة الحج الى

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

هذه الأماكن واعتبرت الصعوبات التي تعرض لها الحجاج المسيحيون في الوصول الى الأماكن المقدسة في فلسطين وهدم كنيسة القيامة السبب الرئيسي للحروب الصليبية حيث لعبت هذه الأماكن المقدسة دورا هاما في حياة المسيحيين وكانت مصدر نزاع دائم بين الكنائس المسيحية الى ان حدد العثمانيون سنة ١٨٥٦م حقوق كل طائفة وواجباتها فيها وفق الوضع الذي كان جاريا ذلك العام وهو ما يعرف بنظام الستاتيكو[٩] الذي لاتزال الطوائف المسيحية تسير عليه فيما يتعلق بتفاصيل حقوقها في هذه الأماكن خاصة في كنيسة القيامة في مدينة القدس وكنيسة المهد في مدينة بيت لحم وقد كان البحث عن الأماكن المقدسة المسيحية أساس علم الاثار في القرن التاسع عشر الميلادي وفيما بعد الانتداب البريطاني على فلسطين عقب قيام الكيان الإسرائيلي سنة ١٩٤٨م التي تقع اليوم المواقع المقدسة فيه بعد احتلال القدس الشرقية سنة ١٩٦٧م[١٠] وان من اهم هذه الأماكن المقدسة ما يلي :

١- كنيسة القيامة :او كنيسة القبر المقدس هي كنيسة داخل اسوار البلدة القديمة في القدس بنيت فوق تل الجلجلة وهي مكان الصخرة التي يعتقد بان المسيح صلب عليها وتعتبر اقدس الكنائس المسيحية والأكثر أهمية في العالم المسيحي وتحتوي على المكان الذي دفن فيه المسيح واسمه القبر المقدس وسميت بهذا الاسم نسبة الى قيامة يسوع من بين الأموات في اليوم الثالث من الاحداث التي أدت الى موته على الصليب بحسب العقيدة المسيحية ومنذ الفتح الإسلامي للقدس سنة ٦٣٨م لم يمس الكنيسة أي سوء الا في الفترة التي سيطر فيها الفاطميين امر الخليفة الحاكم بأمر الله بهدمها وتم إعادة بنائها عند دخول الصليبيين القدس سنة ١٠٩٩م وكان هذا احد اهم الأسباب التي أدت الى الحروب الصليبية[١١].

٢- كنيسة المهد : هي الكنيسة التي ولد فيها المسيح في موقعها وهي تقع في مدينة بيت لحم جنوب الضفة الغربية بناها الامبراطور قسطنطين سنة ٣٣٥م وتعتبر من اقدم كنائس فلسطين والعالم والاهم من هذه حقيقة ان الطقوس الدينية تقام فيها بصورة منتظمة منذ مطلع القرن السادس الميلادي حتى الان حين شيد الامبراطور الروماني بوستنيان الكنيسة بشكلها الحالي.

٣- طريق الالام : بحسب العقيدة المسيحية هي الطريق التي سلكها المسيح من باب الاسباط الى كنيسة القيامة عندما قام اليهود بتعذيبه وصلبه وفي هذا الطريق عذب وجلد وحمل على الصليب طوال الطريق حسب المعتقد المسيحي[١٢].

٤- علية صهيون : هي عبارة عن غرفة تقع على جبل صهيون في مدينة القدس في ذات المبنى الذي يقع فيه ضريح الملك داؤد ويشار اليها بانها الموقع الذي تم فيه المسيح عشاءه الأخير والى جانب كونها مركز المسيحية المبكرة ووصفتها الكنيسة الكاثوليكية بانها اول كنيسة بالعالم وحسب التقاليد

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

المسيحية شهدت علية صهيون عدة احداث ذكرت في العهد الجديد منها العشاء الأخير وغسل الارجل وللمبنى أهمية أيضا اذ تأسس فيه كل من القداس الإلهي وسر القربان .

٥- كنيسة كل الأمم : هي كنيسة موجودة على جبل الزيتون في القدس وهي تحفظ جزء صخري يعتقد ان المسيح صلى هناك في الليل قبل اعتقاله .

٦- بازيلكا البشارة : اكبر كنيسة في الشرق الأوسط وتقع في مدينة الناصرة وانشئت حيث كان بيت السيدة مريم العذراء والدة المسيح وفيه تمت البشارة حسب المعتقد المسيحي.

٧- بيت ساحور : طبقا للتقاليد المسيحية هو الموقع الذي ظهر فيه الملاك لرعاة في المنطقة مبشرا إياهم بميلاد المسيح وظهر في اثره جند من السماء حسب المصطلح الإنجيلي مسبحين وشاكرين اما الرعاة فقد زاروا مكان مولده وشاهدوه مع امه وانطلقوا مخبرين بما قيل لهم من قبل الملاك ولذلك هم اول من احتفل بعيد الميلاد حسب التقليد المسيحي.

٨- عين كارم : هي مسقط رأس يوحنا المعمدان وتضم كنيسة الزيارة بنيت على شرف زيارة مريم العذراء لأم يوحنا المعمدان[١٣].

٩- كفر كنا : وفيها كنيسة كفر قانا حيث اقام المسيح اول معجزاته حسب العهد الجديد .

١٠-طبريا : وفيها بشر وعلم واقام اول المعجزات حسب العهد الجديد وتقع فيها عدد من الكنائس العامة في العالم المسيحي منها كنيسة التطويبات وكنائس كفر ناحوم .

١١-جبل الكرمل : ويقع على سفوحه دير ستيلا ماريس او دير جبل الكرمل في مدينة حيفا وهو دير يتبع للرهبنة الكرملية وتذكر التقاليد المسيحية ان الدير يضم مغارة اعتكف فيها النبي ايلياء او الياس حسب التقاليد الشعبية حيث ان اعتكاف الياس استمر في المغارة وانتشر النساك في نواحي الجبل الذي يوجد فيه دير المحرقة الكاثوليكي على بعد ٢ كم الى الجنوب الشرقي من دالية الكرمل .

١٢-جبل الطور: وهو الجبل الذي تقع فيه كنيسة التجلي[١٤].

١٣-المغطس: هو المكان الذي تعمد فيه المسيح على يد يوحنا المعمدان حسب التقاليد المسيحية.

١٤-جبل الأربعين : طبقا لرواية العهد الجديد هو الجبل الذي صام فيه المسيح أربعين يوما كما صام النبي موسى من قبله.

١٥-صفورية: هي مسقط راس حنة والدة مريم العذراء وجدة المسيح حسب التقليد المسيحي.

١٦-بئر يعقوب : هو بئر ماء في منطقة بلاط البلد على اطراف مدينة نابلس يعتقد بان المسيح شرب منه لدى مروره بالسامرة في طريقه من القدس الى الجليل[١٥].

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

المبحث الثالث : الحرب المقدسة بين الهوية الإسلامية والايدلوجية الصليبية.

لعل من السذاجة بان الحروب الصليبية لم تقم سوى على المواجهة العسكرية فحسب لأن الصليبيين اتخذوا من الصليب شعارا ذي مغزى ديني وعسكري وقد حاولوا فيما بعد تطوير ايدلوجيتهم بما يضمن لهم تدمير البنية العقدية للمسلمين لأنهم رأوا ان الاستغلال الاقتصادي والتصفية الجسدية غير كافية ومكلفة في ظل تصاعد مشكلاتهم المادية والبشرية والايدلوجية فانهم اضطروا الى انتهاج الكثير من الوسائل الأخرى بهدف التصفية الجسدية والروحية معا حيث سعى بعظهم الى تنصير المسلمين على الأرض بينما طرحت في أوربا أفكارا اكثر طموحا هدفها الاسمى ضرب الهوية الإسلامية من خلال تنصير امراء من المسلمين بعد زواجهم من اوربيات مسيحيات مدربات ليعملن على تحويل ازواجهن الى المسيحية بما يحقق اهداف الصليبية في بلدان المسلمين باقل الجهود والخسائر علاوة على ذلك ما اقترن ذلك من نشر فنون اللذة وصنوف الملاهي اضعافا لروح المقاومة الإسلامية وتدميرا للشباب المجاهد مثل ما حدث اثناء الحملة الصليبية الثالثة حينما قدمت بعض السفن الاوربية حاملة للغانيات اللائي قدمن فروجهن قربانا للمحاربين الصليبيين وترفيها لهم في حربهم المقدسة[١٦] وقد انساق بعض المسلمين الى تلك الدروب واقترفوا ما اقترفه الصليبيون ولكن على نطاق ضيق لا يحقق لهم خططهم الطموحة كما لجأ المتعصبون في الغرب الى كثير من أسلحتهم القديمة وعلى رأسها الايدلوجية الصليبية التي خرجوا فيها من الغرب في طريقهم الى القدس اثناء الحملة الصليبية الأولى من جهة والسعي لضرب الإسلام في جوهره من خلال ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللاتينية في محولات متوالية لهدم صورة الهوية الإسلامية التي نالت ثناء بعض الرحالة الاوربيين والمؤرخين وبخاصة أماكن العبادة لدى المسلمين ومداومتهم على صلواتهم وتمسكهم بدينهم ونضجهم ووعيهم ونظافتهم الشخصية وكثير من أمور حياتهم وبات على المسلمين اللذين تتقاسمهم الاهواء والمنازعات ضرورة الوقوف على اهم مظاهر تراجع هويتهم وقت ما غزت الحملة الصليبية الأولى بلدانهم وتصدر ذلك ان يتخلوا عن عوامل التفرقة والانضواء تحت راية الإسلام كهوية جامعة لهم جميعا والتصدي لمناورات الايدلوجية الصليبية ضد الهوية الإسلامية خلال فترة الصراع معهم وقد تمثلت اهم مناوراتهم في احياء ايدلوجيتهم من جديد في توظيف الرفات المقدسة لرفع معنوياتهم وتمسكهم بأفكار خيالية كبحثهم عن الدعم ضد المسلمين من الكاهن الأسطوري يوحنا دلالة على الإفلاس الايدلوجي وكذلك استعانتهم بالمغول ضد المسلمين الا ان المسلمين نجحوا في التصدي لتلك المناورات الصليبية من خلال تحقيق الوحدة السياسية والمذهبية والحفاظ عليها علاوة على تنمية الشعور بالولاء والانتماء الى دينهم في اطار هوية إسلامية واضحة برزت في تشجيع كتابة الادب

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

العربي عموما والشعر خصوصا الذي يعزز الشعور بالانتماء الى لهذا الدين والحث على الجهاد ودوره في تعزيز الهوية الإسلامية وباعث لها وحافظ لمقوماتها ومواجهة المشروعات والتقارير الصليبية بالوسائل السياسية والدبلوماسية وبشكل عام لم يكن التاريخ حينها في صف الصليبيين اللذين لم يكن في أيديهم اية حيلة لأن الشوط الذي قطعه المسلمون في المضمار الحضاري على كافة الأصعدة آنذاك لم يكن هينا ولم يكن للأوربيون طاقة في مجاراة المسلمين في ذلك المضمار ولكن المسلمين بحاجة الى محفز ليتذكروا هويتهم التي انستهم إياها عوامل التفرقة والانقسام[١٧] وتعتبر دعوة البابا اوربان الثاني في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي الى الحروب الصليبية أي حرب مقدسة فرضت على الفرسان المسيحيين تكفيرا لذنوبهم وأعدت لاسترادهم عنوة الأماكن المقدسة في فلسطين تطور عقائدي عميق وتغير جذري في العقيدة المسيحية التي تبناها السيد المسيح التي تعتبر ديانة سلمية تنبذ استخدام العنف وتدينه وفي المقابل لم يعرف الإسلام هذا الانقلاب او هذا التطور العقائدي فمنذ بدايته تبنى موضوع الجهاد أي الحرب المقدسة وانجزت الفتوحات الإسلامية خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين على حساب الإمبراطورية البيزنطية واظهر المسلمين التسامح الديني حيال الديانتين المسيحية واليهودية في رحاب الأراضي التي فتحوها وكانت المجابهة بين المسيحية والإسلام حينها بالتأكيد هي السبب الرئيسي لتطور نظرة الكنيسة في شأن الحرب المقدسة الا انه لابد ان نشير بانه سبق لهذا التطور ان بدأ قبل ظهور الإسلام بكثير أي في مطلع القرن الرابع الميلادي منذ عهد الامبراطور قسطنطين حينما أصبحت الإمبراطورية الرومانية مسيحية من رأسها فتوجب الدفاع عنها ضد المجتاحين البرابرة اللذين شرعوا منذ امد بعيد يهددون تخومها وحين ذاك تم تبرير الحرب الدفاعية على يد اللاهوتيين وعلماء الاخلاق دون ان توصف بسبب ذلك بالحرب المقدسة لكن قدسنة الحرب (إضفاء الطابع المقدس على الحرب) تضخم تضخيما بالغا جدا ابان الفتوحات الإسلامية لجنوب اوربا في الشرق أولا ثم في الغرب[١٨] حيث اتسمت أحيانا مقاومة السكان المسيحيين ولاسيما في اسبانيا بمسحات من التنبؤات والآمال في تدخلات ترد من السماء حسب معتقداتهم وعقب ذلك بقليل جلب كل من تقدم للبابوية عناصر جديدة للقداسية تؤمن بفكرة اللجوء الى العنف المسلح متى ما يستخدم هذا العنف للدفاع عن الكنيسة وعن افرادها وثرواتها الدنيوية وبذلك تم منح الحرب سماتها كحرب مقدسة وذلك من اجل المصلحة الخيرة أي مصلحة الشعب وبذلك نجمت فكرة الحرب الصليبية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي حينما بدأ منظور اجتياح إسلامي جديد مهددا العالم المسيحي في الشرق والغرب[١٩] استجاب على اثره البابا جريجوري لدعوة الامبراطور ميخائيل السابع[٢٠] الذي طلب منه النجدة ضد السلاجقة المسلمين حيث ارسل البابا الى ملوك اوربا

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

وامرائها يوضح لهم سوء حالة المسيحيين في الشرق ولكن دعوته لم تلق أرضية مناسبة نظرا لكثرة المشاكل آنذاك وتجددت الدعوة مع البابا اوربان الثاني الذي كان اصلح شخصية معاصرة لتنفيذ المشروع الصليبي الجديد اذ كانت له الجرأة على الدعوة للحرب الصليبية ورعايتها فضلا عما عرف به من بعد نظر ومقدرة على اختيار الرجال وتوجيههم فلم يكد يتولى منصب البابوية حتى فتح باب المفاوضات مع الامبراطور البيزنطي لتسوية المشاكل الواقعة بين الطرفين كما رفع قرار الحرمان عن الامبراطور مما أدى الى شيء من التقارب بين الكنيسة الشرقية والغربية[٢١] وقد انتهز الامبراطور البيزنطي فرصة عقد مجمع ديني بشمال إيطاليا يراسه البابا نفسه سنة ١٠٩٥م وارسل بعثة نجحت في اقناع البابا بان السلاجقة لا يهددون الدولة البيزنطية وحدها وانما يهددون المسيحية جمعاء وان قوتهم ضعفت بحيث تكفي ضربة قوية واحدة للإجهاز عليهم وعلى اثر ذلك قرر البابا اوربان الثاني ان يحيط مشروعه بالسرية واخذ يقلب الفكرة في ذهنه ثم عقد تجمعا دينيا في كليرمونت بفرنسا في تشرين الثاني ١٠٩٥م ووجه دعوة الى المسيحيين الغربيين لنجدة إخوانهم في الشرق وان يكون جميع المتطوعين على أهبة الاستعداد مع بداية فصل الصيف القادم وقد شهد هذا التجمع اكثر من ثلاثمائة من رجال الدين والقى خطابه حول الدعوة الى الحرب المقدسة في حشد ضخم حتى اضطروا الى إقامة الكرسي البابوي على منصة مرتفعة تطل على الفضاء خارج الباب الشرقي للمدينة[٢٢] وكانت الاستجابة سريعة وقوية اذ تخلل الخطاب هتافات الحاضرين (هكذا أراد الله) ولم يكد البابا ينهي خطابه حتى نهض احد الأساقفة من مجلسه وركع امام البابا والتمس منه الاذن بان يلحق بالحرب المقدسة وتزاحم مئات الحاضرين لينتهجوا نهجه ثم ركع الكاردينال جريجوري على ركبتيه واخذ يتلوا بصوت جهوري قداس الاعتراف وتردد وراءه الجموع وفي النهاية اصدر البابا قرارا يقضي بان كل من يشترك في هذه الحرب المقدسة ضد المسلمين في الشرق تغفر ذنوبه فضلا عن ان ممتلكات الصليبيين المتطوعين ستوضع تحت حماية الكنيسة ورعايتها طيلة مدة غيابهم وقد اثار قرار البابا هذا الدعوة الى حركة شعبية ضخمة ترتبط عادة باسم بطرس الناسك غير انه في الحقيقة لم يكن وحده بل كان هناك الكثير ممن يدعون الى الحرب المقدسة بين العوام[٢٣].

الخاتمة

لم تولد في دعوة البابا اوربان الثاني سنة ان فكرة الحروب او الحملات الصليبية ١٠٩٥م فقد نتجت عن تطور في العقيدة المسيحية منذ بداية القرن الرابع الميلادي عندما تسلم الامبراطور الروماني قسطنطين العظيم مقاليد الحكم في الإمبراطورية الرومانية واعتناقه الدين المسيحي والتي تعتبر نقطة تحول في تاريخ الديانة المسيحية حيث توقف اضطهاد اتباعها والبدء بتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم وخاصة لرجال

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

الكنيسة وبناء الأماكن المقدسة والسماح برحلات الحج وتقديم كافة التسهيلات لها وتم تطبيق ايدلوجية الحرب المقدسة أولا على استعادة الأراضي المسيحية في الغرب قبل انتقالها الى الشرق وقد ارتقى وصفها بالقداسة تطبيقا للحج وتحرير ضريح المسيح وهو الهدف المعلن لهذه الحروب او الحملات وتم منح المتطوعين في هذه الحملات الحقوق والامتيازات الروحية نفسها التي كانت الكنيسة تمنحها في ذلك الوقت للتائبين عن آثامهم وان كثير من الناس في الغرب ما يزالون ينظرون الى الحروب الصليبية نظرة رومانسية وان مشهدها يجسد العقيدة وهي تسير للقتال بأسلحتها المشرعة تتألق تحت الشمس كما ان الجيوش الصليبية تبدوا في عيونهم جيوشاً من الرجال النبلاء اللذين هذبتهم تقاليد الفروسية ولكن الواقع ان الصورة الحقيقية للحروب الصليبية تحمل الكثير من الملامح القاتمة وهي حافلة بمشاهد الطمع والخسة وصور الخزي والعار فقد كان الصليبيون قوما همجيون ومتوحشون حتى بمقاييس ذلك الزمان ولا يرعون عهدا ولا يصونون وعدا وكانت الايدلوجية الصليبية تعبيرا حقيقيا عن مجتمع غرب اوربا في القرن الحادي عشر الميلادي في أفكاره ومثله وقيمه وآماله وعواطفه واساطيره وخرافاته وتدينه وقسوته وروحه العسكرية كما كانت تعبيرا عن التغييرات الاجتماعية التي طرأت على هذا المجتمع وعلاقات القوى الاجتماعية داخلة أي ان الايدلوجية الصليبية كانت تعبيراً عن الرؤية الكلية لمجتمع غرب واربا للعالم من ناحية كما كانت تجسيدا لحقيقة التغيرات والعلاقات داخل هذا المجتمع من ناحية أخرى وكانت خليطا من الدوافع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدنيوية انصهرت جميعها في بوتقة هذه الايدلوجيا التي افرزت الحملات او الحروب الصليبية.

الهوامش

١) د .قاسم عبده قاسم، الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية: دراسة الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩م، دار روتابرنت للطباعة، ط١، ١٩٩٩، ص٢٨-٢٩

٢) المصدر نفسه.

٣) د.قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الكويت، ١٩٧٨، ص١٦

٤) هي حركة اصلاح احتجاجية ضد الانهماك في الشؤون الدنيوية على حساب الشؤون الدينية والروحية وتسمت بهذا الاسم نسبة الى دير كلوني الذي تأسس سنة ٩١٠م في إنكلترا واصبح اهم دير في اوربا.

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

٥) د.قاسم عبده قاسم ،الخلفية التاريخية للحروب الصليبية، ص٣٤٤.

٦) وليام الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة د.حسن حبشي، ج١، ص١١٤

٧) د.قاسم عبده قاسم، الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية، ص٣٥

٨) روبرت تشيك، زيارات المسيحيين واليهود والمسلمين الى القدس في العهدين المملوكي والعثماني: دراسة مقارنة، ترجمة د.جلال حسني سلامة، ط١، ٢٠٢٢

٩) قانون صادر عن الدولة العثمانية بتاريخ ٢ آب ١٨٥٦م عندما كانت تحكم الدول العربية ومن ضمنها القدس ويسمى أيضا قانون الوضع الراهن ويقوم على تثبيت حقوق كل طائفة وجماعة دينية كانت موجودة في القدس دون السماح بأحداث تغيير فيما كان عليه الوضع منذ ذلك التاريخ وبالتالي حفظ حقوق الطوائف والجماعات الدينية وما زال هذا القانون معمولا به الى حد كبير حتى اليوم.

١٠) د.رأفت عبدالحميد، الدولة والكنيسة :الوثنية والمسيحية، ج٢، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨، ص١١٦-١١٧

١١) مجلة التاريخ الكنسي، البحث عن قبر مقدس، ٦ نيسان ١٩٩٥

١٢) ميروم ميرفي اوكونر، الأرض المقدسة، ٢٠٠٨، ص٣٧

١٣) هنري بولارد اليسوعي، الانسان والكون والتطور بين العلم والدين، بيروت، دار الحقوق، ٢٠٠٨، ص٢٦٨

١٤) المصدر نفسه.

١٥) نادر عبود ،حيفا على مر العصور ،حيفا ،١٩٨٥

١٦) د.حجازي عبدالمنعم سليمان، بين هوية المسلمين وآيدلوجية الصليبيين: صراع بقاء بين اقطاب القوى الكبرى في العصور الوسطى، مقالة على الانترنت.

١٧) المصدر نفسه.

١٨) المصدر نفسه.

١٩) جان فلوري ،الحرب المقدسة والجهاد: الحرب الصليبية: العنف والدين في المسيحية والإسلام، ترجمة غسان مايسو، دار المدى للثقافة والنشر، ط١، ٢٠٠٤، ص٥.

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

٢٠) امبراطور الدولة البيزنطية للفترة من (١٠٧١-١٠٧٨م) وهو الابن الأكبر للإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس وبعد الهزيمة التاريخية للإمبراطور رومانوس في معركة ملاذ كرد عين ميخائيل السابع امبراطورا فالقى القبض على رومانوس الرابع وسمل عينيه بسبب الهزيمة.

٢١) ا.د الحسين شواط، الدوافع العقدية للحروب الصليبية، ص٣٩.

٢٢) المصدر نفسه.

٢٣) المصدر نفسه.

المصادر والمراجع:

١. ا.د الحسين شواط، الدوافع العقدية للحروب الصليبية.
٢. جان فلوري ،الحرب المقدسة والجهاد: الحرب الصليبية: العنف والدين في المسيحية والإسلام، ترجمة غسان مايسو، دار المدى للثقافة والنشر، ط١، ٢٠٠٤.
٣. د .قاسم عبده قاسم، الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية: دراسة الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩م، دار روتابرنت للطباعة، ط١، ١٩٩٩.
٤. د.حجازي عبدالمنعم سليمان، بين هوية المسلمين وآيدلوجية الصليبيين: صراع بقاء بين اقطاب القوى الكبرى في العصور الوسطى، مقالة على الانترنت.
٥. د.رأفت عبدالحميد، الدولة والكنيسة :الوثنية والمسيحية، ج٢، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨.
٦. روبرت تشيك، زيارات المسيحيين واليهود والمسلمين الى القدس في العهدين المملوكي والعثماني: دراسة مقارنة، ترجمة د.جلال حسني سلامة، ط١، ٢٠٢٢.
٧. مجلة التاريخ الكنسي، البحث عن قبر مقدس، ٦ نيسان ١٩٩٥
٨. ميروم ميرفي اوكونر، الأرض المقدسة، ٢٠٠٨، ص٣٧
٩. نادر عبود ،حيفا على مر العصور ،حيفا، ١٩٨٥
١٠. هنري بولارد اليسوعي، الانسان والكون والتطور بين العلم والدين، بيروت، دار الحقوق، ٢٠٠٨، ص٢٦٨
١١. وليام الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة د.حسن حبشي، ج١.

Objective and review:

١. Dr. Al-Hussein Al-Shati', Universal Motives for the Crusades.

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com

٢. Jean Fleury, Holy War and Jihad: The Crusade: Violence and Religion in Christianity and Islam, translated by Ghassan Mayso, Dar Al Mada for Culture and Publishing, ١st edition, ٢٠٠٤.

٣. Dr. Qasim Abdo Qasim, The Ideological Background of the Crusader Groups: A Study of the First Crusader Civilization ١٠٩٥-١٠٩٩ AD, Rutaprint Printing House, ١st edition, ١٩٩٩.

٤. Dr. Hijazi Abdel Moneim Suleiman, between the identity of Muslims and the ideology of the Crusaders: the struggle for survival between the poles of the major powers in the Middle Ages, an online article.

٥. Dr. Raafat Abdel Hamid, The State and the Church: Paganism and Christianity, Part ٢, Qubaa Printing and Publishing House, Cairo, ٢٠٠٨.

٦. Robert Cheek, Visits of Jews and Muslims to Jerusalem in the Mamluk and Ottoman Era: A Comparison of Translation, Dr. Jalal Hosni Al-Salama, ١st edition, ٢٠٢٢.

٧. Journal of Ecclesiastical History, Searching for a Holy Tomb, April ٦, ١٩٩٥

٨. Murphy Murphy O'Conner, Holy Land, ٢٠٠٨, p. ٣٧

٩. Nader Abboud, Alive Throughout the Ages, Haifa, ١٩٨٥

١٠. Henry Pollard the Jesuit, Man, the Universe, and Evolution between Science and Religion, Beirut, Dar Al-Huqouk, ٢٠٠٨, p. ٢٦٨.

١١. William of Tyre, The Crusades, translated by Dr. Hassan Habashi, Part ١.

Corresponding author: manaf.alkhtab@gmail.com